نظرية المعتقدات الدينية وتولدها، أو تطور بعضها عن بعض عند أرنولد توينبي

(١٨٨٩م- ١٩٧٥م)

أ.م.د. أيوب إبراهيم عبد

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN:2073-1159 (Print) E-ISSN: 2663-8800 (Online)
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq
ISJ

The theory of religious beliefs and their generation, or their development from one another according to Arnold Toynbee (1889 AD-1975 AD)

Dr. Ayoub I. Abd ♦

Department of Islamic Creed and Thought, College of Islamic Sciences, Samarra University, Iraq.

KEY WORDS:

Toynbee, Evolution of Religions, Hellenistic Civilization, Semitic Religions.

ARTICLE HISTORY:
Received: 5 /12 /2022
Accepted: 14 /12 / 2022
Available online: 18/1/2023

ABSTRACT

Toynbee believes that societies are primitive and civilized, and that the number of beginnings is more than civilized, and civilized societies are few in number, as they are original and subsidiary, and the Islamic civilization he considers to be an original civilization, and we find in his speech the subject of the collapse of civilizations and compares Western civilization with Islamic civilization, and considers Islamic civilization threatening the West with extinction, and sees in the end Ultimately, the fate of civilizations will be the survival of one civilization, and it is believed that it is the Western civilization.

And Toynbee sees the multiplicity of gods, because the God of the Hellenes differs from the God of the Children of Israel, and they differ from the God of the Muslims, and we see in his philosophy a defense of the Jews. The values and principles of Western civilization, and Toynbee spoke about religions, as he calls for abandoning religion and calls for civilisation.

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

♦ Corresponding author: E-mail: ayoob.i@uosamarra.edu.iq

نظرية المعتقدات الدينية وتولدها، أو تطور بعضها عن بعض عند أرنولد توينبي (١٨٨٩م-١٩٧٥م)

أ.م.د. أيوب إبراهيم عبد

قسم العقيدة والفكر الإسلامي ،كلية العلوم الإسلامية، جامعة سامراء، العراق.

الخلاصة:

يرى توينبي أن المجتمعات بدائية ومتحضرة، وإن عدد البداية أكثر من المتحضرة، والمجتمعات المتحضرة على قلتها فهي اصلية، وفرعية والحضارة الإسلامية يعدها حضارة أصلية، ونجد في كلامه موضوع انهيار الحضارات ويقارن حضارة الغرب بالحضارة الإسلامية، ويعد الحضارة الإسلامية تهدد الغرب بالانقراض، ويرى في نهاية المطاف أن مصير الحضارات سيكون بقاء حضارة واحدة، ويعتقد أنها الحضارة الغربية.

و توينبي يرى تعدد الأله فإله الهلينيين، يختلف عن إله بني إسرائيل، وهما يختلفان عن إله المسلمين، ونرى في فلسفته دفعاً عن اليهود، وقد سعى توينبي إلى توظيف قيم ومبادئ هذه الديانات بما يخدم قيم ومبادئ الحضارة الغربية ويتعامل معها على اساس مدى انسجامها ومواءمتها مع قيم ومبادئ الحضارة الغربية، وتكلم توينبي عن الديانات فهو يدعوا الى ترك الدين ويدعوة الى التحضر.

الكلمات الدالة: توينبي، تطور الأديان، الحضارة الهيلينية، الديانات السامية.

المقدمة

يعد توينبي واحدًا من اشهر الشخصيات المعروفة في التاريخ الغربي الحديث وشهرته تلك مستمدة من محاولاته لتقديم تصور جديد لخط سير حركة التاريخ وتطوراتها المستقبلية ضمن نظريته الفلسفية الشهيرة بـ (الاستجابة والتحدي) التي تبلورت من فكرة الخوف على مصير الحضارة الغربية وتجلت بوضوح في كتابه (دراسة التاريخ) الذي عكف توينبي على تأليفه من عام(١٩٢١-١٩٦١)، وايضاً دراساته حول الحضارات بما فيها الحضارة الهيلينية وغلوه في وصفها، وارثها اللاهوتي وصلته بالناسوت.

وكان الانقلاب الذي أحدثه توينبي في هذا النمط الجامد من الدراسات التاريخية قد مثل نقطة تحول هامة في لفت أنظار المؤرخين، والمفكرين لا سيما الذي يبحث في نشأة الفكر اللاهوتي والناسوت، والذي أحاول تسليط الضوء عليه .

إن شهرة توينبي وعالميته لا تأتي من كونه أحد رواد المؤرخين الذين قدموا نظرية فلسفية عن الحضارات؛ وتناولوا مصير الحضارة الغربية بالتحديد، بل لأنه استطاع اجتياز حاجز كبير في دراسة الفلاسفة للحضارات، حين اخترق عالم الحضارات الشرقية ولم يقتصر – كما فعل فلاسفة الغرب – على الحضارتين اليونانية والرومانية.

لقد ضم في دراساته لعالم الحضارات (الحضارة الإسلامية) التي تناولها مفصلا في دراساته، وخصها بعنايته في منظومته الفلسفية عن التاريخ؛ محققا بذلك حلم كان يصبو إليه بعبارته الشهيرة التي صرح بها قائلا: كانت رغبتي دائما أن أرى الجانب الآخر من القمر، وان أرى الصورة في مجموعها؛ وليس مجرد وجهة نظر غربية، وقد تعلمت منذ الطفولة أن أتسأل عن الشعوب التي تركت خارج التاريخ التقليدي مثل الفرس والقرطاجيين والمسلمين وما شابههم.

ويعد كلام توينبي ونظريته حول تولد الأديان وتطورها نظرية خيالية، وقد ابتنت عنده سبب تاثره بالفلسفات والهرطقات القديمة التي تنكر حشر الأجساد والبعث والحساب وترسخ مبدأ علاقة الانسان بالطبيعة وإيجاد الطبيعة، ويظهر ذلك جلياً من خلال طروحاته التي تبناها في مؤلفاته، مثال كتاب الحضارة الهيلنية والذي أتناوله في بحثي، دراسة نقدية.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد أثار المستشرقون الكثير من المسائل ذات الطابع اللهوتي او العقدي، والعمق الديني التي فيها مجافاة للواقع والحقيقة، لذا ارتأيت أن اتناول هذه الشخصية من جانب فلسفة الدين عند المستشرقين، توينبي انموذجاً، حيث سيجد القارئ بغيته في ما نسب إلى (المعتقدات الدينية وتولدها، أو تطورها البعض عن البعض الأخر)، وأيضاً سعى توينبي إلى رسم صورة عن الإنسان وعلاقته بالبيئة منطلقاً من ذلك بأنه لا بعث ولا نشور للإنسان، وقد خالف بذلك جميع الأديان السماوية.

ولم أقف على دراسة تم الرد فيها على نظرية توينبي في تطور الأديان ، غير بعض الإشارات البسيطة إلى ضخامة مؤلفاته وأهميتها مثل كتاب الحضارة الهيلينية

منهجية البحث:

وقد اتبعت في بحثي هذا المنهج التحليل الوصفي النقدي، وحسب متطلبات منهج البحث العلمي.

هيكلية البحث:

تتكون هيكلية هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المبحثين فهما

المبحث الأول: ترجمة أرنولد توينبي.

المطلب الأول: اسمه وولادته، وعائلته.

المطلب الثاني: نشأته.

المطلب الثالث: المناصب التي شغلها.

المطلب الرابع: مؤلفاته، ووفاته.

المبحث الثاني: نشأة وانهيار الحضارات ونظرية تطور الأديان.

المطلب الأول: نشأة الحضارات وانهيارها.

المطلب الثاني: تطور الأديان في فلسفة توينبي

المطلب الثالث: صراع الإنسان والبيئة

المطلب الرابع: تحليلاته واستدراكاته على الديانة اليهودية وكيفية اتباعها الفكر اليهلينية

المطلب الخامس: تعليلاته الكلامية ونقده للمعتقدات اليهودية

الخاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

ترجمـة أرنولد توينبي

المطلب الأول: اسمه وولادته، وعائلته

بطاقة تعارف ومهما يكن من أمر فأن هذا المؤرخ صاحب الصيت اللامع، كان مؤرخة شجاعة يتصف بوضوح الرأي ونزاهة القصد واحترام الوقائع الموضوعية، وإن كان عليه بعض المأخذ، فكل أبن آدم خطاء.

- اسمه وولادته:

ولد أرنولد توينبي (Arnold Joseph Toynbee) في مدينة لندن، في ١٤ أبريل – نيسان– عام ١٨٨٩م، وكان للبيئة البريطانية أثر كبير على نشأة أفكاره، ومعتقداته.(١)

- عائلته:

يمثل المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، من أسرة تعد من صفوة الطبقة الوسطى المعروفة بمكانتها الثقافية في المجتمع البريطاني، عرفت أسرة توينبي بتدينها، وقد أثر ذلك بشكل كبير على آرائه في التاريخ إذ تعتنق أسرته المذهب البروتستانتي، فوالده جوزيف توينبي، كان موظف في أحد شركات الشاي، وجاء تأثر أرنولد توينبي من والدته خريجة البكالوريوس في التاريخ، فكان لها الفضل في تعليمه التاريخ وفي مذاكرته إلى حين تخرجه، وعم المؤلف اسمه نفس اسم المؤلف (أرنولد توينبي) وقد ولد الأخير في عام ١٨٥٢م، وتوفي عام ١٨٨٥م، وهو اقتصادي شهير، ومصلح اجتماعي، أما جد المؤلف فقد كان جراح شهير في إنكلترا، وعضوا في الجمعية الملكية البريطانية.(٢)

تزوج توينبي المؤلف المشهور الزواج الأول من روزاليند موراي في ١٩١٣م، وهي بنت أستاذه في التاريخ المدعو جيلبرت مورى، وقد أنجبت له الناقد الأدبي المعروف فيليب توينبى، وهو متخصص في الدراسات الكلاسيكية (اليونانية – الرومانية)، ثم طلق روزاليند موراي في ١٩٤٦م، ثم بعدها تزوج من فيرونيكا بولتر، وهي ابنة قسيس، وقد تعرف إليها حين كانت تساعده في عمله كباحث اجتماعي في لندن في نهاية الثلاثينات، أما الأبناء فهم فيليب توينبي من زوجته الأولى روزاليند ، ولورانس توينبي، وأنتوني هاري، وروبرت توينبي، من زوجته الثانية فيرونيكا، كما إن الكاتب الشهير له عدد من الأحفاد هم: بولي توينبي، راشيل ماري أغنس توينبي، روزاليند توينبي. (٣)

---

(١) نيفين جمعة علم الدين، فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الأغريق، ترجمة: لمعي المطبعي، القاهرة، ١٩٩١م.، ص١٩.

(٢) فؤاد محمد شبل، توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٣.

(٣) ينظر: موقع ويكيبيديا ، مقال عن أرنولد توينبي، https://ar.wikipedia.org تم زيارة الموقع بتاريخ ٢٠٢١/٧/١٤.

المطلب الثاني: نشأته

نشأ توينبي على درجة من التعليم والثقافة، والاهتمام بالشؤون الاجتماعية، فمنذ صغره درس توينبي بمدرسة (وينشستر)[١]، التي درس فيها الابتدائية والثانوية ثم التحق بكلية باليول في جامعة أكسفورد[٢] لدراسة التاريخ القديم ، فتخرج وتعين فيها أستاذا للتاريخ، واهتم توينبي بالدراسات الاقتصادية إلى جانب الدارسات التاريخية، درس في اكسفورد الأدب الكلاسيكي اليونان واللاتيني، فتأثر به وبدأ عندها نشوء الأفكار التاريخية لديه، وقد اهتم بالحضارة الهيلينية وسافر مرات عديدة إلى اليونان يتفقد معالمها وأثارها.[٣]

في الوقت الذي درس وتخرج فيه توينبي من الجامعة كان بمرحلة من الازدهار لدراسة تاريخ الحضارات الأخرى فبع وبرز كتاب كمؤرخين بارزين كان لهم دور كبير في تنشيط الدراسات التاريخية وتوجيهها وضمت مستشرقين بارزين من أمثال مرغوليوث، وهاملتون جب ، الا ان الاهتمام الأكبر في اكسفورد انصب على دراسة الحضارة الإغريقية القديمة وتقدير مثلها العليا في الديمقراطية والفردية. [٤]

وكانت كلية باليول وقتها تعد من اكبر مراكز الدراسات والبحوث الخاصة بالحضارة الإغريقية وخاصة عندما كان توينبي طالبا فيها، وكان عميدها جويت وهو من أعظم مترجمي الفيلسوف اليوناني افلاطون إلى اللغة الانكليزية وكان من طلبتها جلبرت موري' وزمرمن، وريتشارد لفنجستون، وكل واحد من هؤلاء اصبح علما في دراسة الحضارة الإغريقية والتي تأثر بهم توينبي اشد التأثير وهو يدرس الحضارة الإغريقية القديمة على أيديهم. [٥]

---

(١) وينشستر: كانت تدعى قديما وينتونشستر، هي مدينة كاتدرائية تاريخية وعاصمة سابقة لإنجلترا. وهي عاصمة مقاطعة هامبشاير، تقع في جنوب شرق إنجلترا، في قلب مدينة وينشستر التي تمتد على نطاق واسع. ينظر: موقع ويكيبيديا ، مقال عن المدرسة، https://ar.wikipedia.org تم زيارة الموقع بتاريخ ٢٠٢١/٧/١٤.

(٢) جامعة أوكسفورد: تعدّ أقدم جامعة في العالم الغربي المتحدث بالإنجليزية، وأقدم جامعات بريطانيا السبع العتيقة، ومن خيرة ورابع أفضل جامعات العالم ، وتقع الجامعة في مدينة أكسفورد في إنجلترا، وبالرغم من عدم معرفة التاريخ الدقيق لإنشاء الجامعة، فإن أصولها ترجع، على أقل تقدير، إلى القرن ١١. ينظر: موقع ويكيبيديا ، مقال عن اكسفور، https://ar.wikipedia.orgتم زيارة الموقع بتاريخ ٢٠٢١/٧/١٤.

(٣) أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الأغريق، ترجمة: لمعي المطبعي، مراجعة: محمود صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر، ط١، ١٩٩٠، مقدمة المترجم.

(٤) صالح أحمد العلي، توينبي والحضارة لعربية في ماضيها ومستقبلها ، بحث منشور في مجلة آفاق عربية، بغداد، مجلد ١، عدد ٧، آذار، ١٩٧٦م، ص١٢؛ ولمعي المطيعي، أرنولد توينبي – عرض ودراسة–، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٢٧.

(٥) ينظر: صالح أحمد العلي، توينبي والحضارة لعربية في ماضيها ومستقبلها ، ص١٢.

تعلم توينبي اللغة اليونانية واللاتينية، كما تعلم الفرنسية والايطالية والألمانية، واليونانية الحديثة، الا انه لم يتعلم العربية أو التركية او الفارسية التي تعد ضرورية لكل من يروم دراسة الحضارة العربية والاسلامية او حضارة الشرق الأوسط. (١)

ويرى الباحث أن عدم قصور المؤرخ توينبي في عدم تعلمه العربية يدل على أن رؤية توينبي للمنطقة العربية والاسلامية قد استمدها من مصادر توراتية واستشراقية أكثر من اطلاعه المباشر عليها، وقد يكون تأثر بتاريخ ابن خلدون كما يقول بعض الباحثين والمترجمين له، الا انه اطلع على ترجمة لمؤلفات ابن خلدون، مما يعني أنها قد ترجمت بشكلها الصحيح او حادت عن بعض أفكار ابن خلدون حين تمت ترجمتها.

المطلب الثالث: المناصب التي شغلها

أما المناصب الحكومية التي شغلها المؤرخ توينبي فنوجزها بالنقاط التالية(٢):

١) عمل بوزارة الخارجية أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية .

٢) كان عضوا في الوفد البريطاني في مؤتمرات السلام عقب الحربين العالميتين، لعقد مؤتمر الصلح فعقد في باريس بين سنتي ١٩١٩م – ١٩٤٦م.

٣) بدأ عام ١٩٢٢ يضع الخطوط الأول لعمله الأشهر (دراسة التاريخ)، فبدأ بكتابته عام ١٩٣٠م، وصدرت المجلدات الأولى منها عام ١٩٣٤م، وهي ١٢ جزء ألفها لمدة ٣١ عام ، كان اخر ما كتبه في هذا المجلد عام ١٩٦١م، ويمثل ردود على المنتقدين لكتاباته.(٣)

٤) منذ عام ١٩٢٥ أشرف على المعهد الملكي للشئون الدولية، واصبح مستشار لوزارة الخارجية البرطانية، ولمدة ٣٠ عام، أي إلى ان تقعاد في عام ١٩٥٥م.

٥) باحث فى دائرة المخابرات السياسيه في وزارة الخارجية البريطانية في عام ١٩٣٠م.

٦) أشرف على عدد من الرسائل العلمية والأطاريح، حين كان أستاذاً في الجامعة.

٧) عرض عليه منصب كاهن، وبحار

---

(١) ينظر: لمعي المطيعي، أرنولد توينبي، ص١٢٧.

(٢) ينظر: نيفين جمعة علم الدين، فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الأغريق، ترجمة: لمعي المطبعي، مقدمة المترجم.

(٣) ينظر:ارنولد توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل، مراجعة: محمد شفيق غربال، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥م، مقدمة المترجم ؛ وصدقي عبد الله خطاب، أرنولد توينبي ، مجلة عالم الفكر ، الكويت، مجلد ٥، ١٩٧٤م، ص٢٩٢– ٢٩٤.

المطلب الرابع: آثاره العلمية، ووفاته

الفرع الأول: آثاره العلمية

لقد صدر عن العالم المؤرخ توبيني العديد من المؤلفات وكلها تتكلم عن التاريخ، إلا انه يورد أرائه عبر السرد التاريخي الذي يتكلم عنه، ونجد فلسفته واضحه في كتبه ومؤلفاته، فهو يتكلم عن الفلسفة اليونانية، والاغريقية، وتاريخ اليهود، والنصارى، ويتطرق إلى الكلام حول التاريخ الإسلامي، ويتكلم عن الصراعات التي مرت بها الشعوب ، ولعل ابرز مؤلفاته التي ترجمت للعربية هي[١]:

١) صدرت له أعمال كثيرة منها: دراسة التاريخ – الحضارة في الميزان – الفكر التاريخي عند الاغريق – مختصر التاريخ – العالم والغرب – الاسلام والغرب .

٢) بعد توينبي حجة في الأدبين البيزنطي واليونان.

٣) شارك فى اصدار حولية المعهد " مسح للشئون الدوليه " Survey of International Affairs. عام ١٩٣٦م.

٤) له العديد من البحوث المنشورة باللغة الإنكليزية، في الصحف والمجلات العلمية لم يتم ترجمتها بعد.

الفرع الثاني: وفاته

في يوم ٢٢/ أكتوبر (تشرين الأول) لعام ١٩٧٥ توفي آنولد توينبي ، في يورك ببريطانيا عن عمر يناهز الـ ٨٦ عاما، بعد تركه للكتابة والتأليف وقد ترك خلفه ارثا كبيرا من كتب التاريخ، تحمل في طياتها فلسفة وافكاره المأخوذة من أمه واساتذته في قسم التاريخ لجامعة إكسفورد، ومن خلال معرفته في ترحاله إلى بلدان العالم[٢].

المبحث الثاني: نشأة وانهيار الحضارات ونظرية تطور الأديان

تمهيد: الفكرة الأساسية لمسألة تطور الأديان:

لقد سعى توينبي من خلال دراساته للحضارات التي قامت على المعمورة مفتخراً بالحضارة الهيلينية، ومتجاهلاً لحضارات أخرى مثل حضارة وادي الرافدين، وحضارة ونهر النيل وما لهما من أثار موغل في الفضل على البشرية، ثم يعلل علاقة الانسان بالأرض كنسبة الولد إلى أمه متأثراً بالفكر الفلسفي اليوناني، ومبتعداً كل الابتعاد عن تعاليم الدين الحقيقية، بما يجسده كلام الله (عز وجل) والكتب السماوية غير المحرفة، ومن هذا فأردت في طرحي المسائل التي دافع عنها بأفكار تصدرها رأيه، وقد قام بمصادرة الآراء الأخرى أو (الحقائق) الدقيقية مما يوهم بعض الدارسين في يومنا الحاضر باعتناق نظريته دون تشخيص الخطر الكامن خلف هذه النظرية المزعومة، ومن خلال كتابتي للبحث لم أجد من تصدر لرد

---

(١) ينظر: نيفين جمعة علم الدين، فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، ص٥.

(٢) ينظر: علاء الدين الأعرجي، أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المنفعل، مطبوعات لندن، ط٥، ٢٠١٥م، ص٨٣.

هذه الشبه الكبيرة التي تحيط بتهديدها لمفهوم دين الله الخالي من التأثيرات وهوس النفس التي يطلقها توينبي.

المطلب الأول: نشأة الحضارات وانهيارها

يعتقد توينبي أن هناك فئتين من المجتمعات: بدائية ومتحضرة، وقد أحصى عدد الفئات البدائية وعدها بانها أكثر من المتحضرة بعدد جاوز الستمائة مجتمع، فالمجتمعات في نظر توينبي بدائية مالم تواكب عصر التطور وتأخذ فكر الغرب في التحضر، أما الفئة الثانية المجتمعات وهم بنحو ست وعشرون حضارة يقسمها إلى قسمين حضارة اصلية ليس لها جذور او (صلة بحضارة سابقة)، والفرع الثاني حضارة فرعية لها جذر بما سبقها، ومثل للحضارة الإسلامية، فهو يعدها في بداية كلامه عنها بأنها حضارة أصلية غير مستمدة جذورها من حضارة أخرى، ثم يناقض نفسه، فيقول عن الحضارة الاسلامية أنها تتألف من اتحاد المجتمعين العربي والإيراني وهما يرجعان بالبنوة إلى الحضارة السريانية القديمة وهذا يتناقض مع ما ذكره في البداية من التأكيد على عد الحضارة الاسلامية حضارة اصيلة.[١]

ثم يتطرق المؤرخ توينبي إلى موضوع انهيار الحضارات ويقارن حضارة الغرب بالحضارة الإسلامية فهو يرى أن عدد السكان في أوربا كان اكثر من العرب، وبسبب عدد الولادات عند المسلمين أكثر من الغرب فان هذا مؤشر لتهديد الغرب بالانقراض، ويضيف توينبي نظرة إسلامية علمية ينبذها كل شعب متحضر وهي مسألة المخدرات والخمور، فيقول: ((إن العالم الغربي ستفتك به المخدرات والخمور، في حين إن العالم الإسلامي لا يشرب الخمور))، ثم يضيف على كلامه، فيقول : ((إذا نظرنا إلى أمة شابة فتية يتضاعف عدد سكانها، كالأمة العربية الإسلامية، ونظرنا إلى الأمة الغربية التي تهرم مع الزمن، وكلما يأتي جيل يكون عدد سكانه أقل، وفي نفس الوقت تتعاطى المهلكات كالخمور والمخدرات)) [٢].

ويصل في نهاية فلسفته للتاريخ إلى تقرير حقيقة لا يمكنه تجاهلها وهي أن مصير الحضارات سيكون بقاء حضارة واحدة هي الحضارة الغربية التي يحاول ان يجد العلاج الابقائها على قيد الحياة من خلال الديانات الاربعة الرئيسة في العالم وهي: النصرانية والاسلام والبوذية والهندوسية.[٣]

وقد سعى توينبي إلى توظيف قيم ومبادئ هذه الديانات بما يخدم قيم ومبادئ الحضارة الغربية ويتعامل معها على اساس مدى انسجامها ومواءمتها مع قيم ومبادئ الحضارة الغربية، ليصل إلى نتيجة مفادها أن مستقبل العالم ومصيره مرتبط باحدى نتيجتين: الأولى حرب ذرية ماحقة وذلك نتيجة تأثره بالحروب الكارثية التي عاصرها والحرب الباردة التي كانت قد بلغت أوج قوتها او حضارية عالمية واحدة تنهض بها الديانات الأربعة المتبقية. [٤]

---

(١) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ص٨٤، ومغلف الكتاب .

(٢) ينظر: توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ص٣٢٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٨٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٨٧.

المطلب الثاني: تطور الأديان في فلسفة توينبي

يفرد توينبي في الفصل السادس عشر من الكتاب، فقرة (عبادة نظام فان – المدينة الهيلينية–)، وفي الحقيقة قمت بمراجعة مؤلف ثاني للمؤلف ذاته لأتحقق مما يرنو اليه.

لقد ذكر توينبي تناقل الأفكار والمعتقدات في الحضارات وكيف تمت تلاقح تلك الاتجاهات الفكرية وتهاوت وافلت بعضها دون بعض...

ان المؤلف قد بالغ في وصفه لتطور المعتقدات والأديان عند الهيلينيين ثم لدى اليونان وبعدها كيفية تجسيد عقيدة حب الأرض وانتما الإنسان اليها عند السامين...، وكذلك كيفية انتقالها الى اليهودية ومنها الى المسيحية....، وهذا الكلام بخطورة بمكانه ما يذكر على مختلف ما يتناقله الباحثون دون التأكد من تعليلاته بين مقاصد المفكر والفيلسوف توينبي وبين الحقيقة التي يجب التمسك بها ومن جهة أخرى نقد ما يطرح من تشويش الحقائق ومحوها.

وسنتناول في هذا المطلب بتلك المحاولات التي تناولها توينبي معللاً تطور تلك الأديان، وبالنسبة للقارئ سيجد أن كلامه يدل على أن الأديان والعقائد متولد بعضها عن الأخر غير أن الحقيقة غير ذلك، لأن الكتب السماوية لم تدعوا إلى التنافس في حب الدنيا ولم تدعوا إلى عبادة الإنسان ذاته ، ولم تصف أن الطبيعة هي التي تمتلك القدرات الخارقة ، انما هذه الدعوات كلها وليدة مخاوف الإنسان وتحليلاته النفسية والانعكاسية ، وأما ما ذكره عن اليهودية والمسيحية فهو يريد بذلك ما بعد تحريف تلك الديانات، واستبدال النص التوراتي والانجيلي بنصوص مزاعم من يمثل تلك الديانات.[١]

يذكر توينبي في كتابه مسألة سومر ونهر الفرات، ونهر دجلة وهما من المدن التي وجدت كحضارة قبل ٢٠٠٠ عام من الهيلينية او اليونانية، ثم يذكر مسألة خطيرة وهي إقرار الهيلينيين او اليونانيين أن الإنسان مقياس كل شيء، وإن الإنسان هو سيد الخلق وعبدوه كأله بدلاً من الله.[٢]

وهذه المسألة وغيرها من المسائل هي مسائل عقائدية لها علاقة بمعتقدات الشعوب، وهو اذا يتكلم عن هذه الديانات فانه يدعوا الى ترك الدين في بعض فلسفاته، والدعوة الى التحضر.

كذلك ينقل توينبي أن الديانة الهيلينية قد توارثت قضية الاعتقاد في قوة الطبيعة والمنقولة عن الحضارات السومرية وغيرها، حيث ترسم صورة عبادة الطبيعة في العصر البدائي التي شكلت منها الحضارات البدائية في الديانات السامية، التي كانت بمثابة رد لهذه الحضارات على تجربة الانهيار والانحلال الاجتماعي التي مرت بها، أمدت عبادة الانسان البدائي للطبيعة مجسمة في الأسرة، وعبادته للطبيعة ممثلة في المحاصيل الزراعية تلك الحضارة البدائية التي كانت الأولى من نوعها والتي ذاقت مرارت

(١) ينظر: أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ص ٦١– ص٨٠؛ و أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهيلينية، ص ٢٨– ٤٠.

(٢) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ص٢٥٩.

الفشل بوسيلة من وسائل التعبير. لقد أمدتها برمز من الجانب المفزع من الحياة البشرية، وعلى الانتصار العجيب بالحياة الذي ينشأ على نحو يثير الدهشة، عن هزيمة الحياة نفسها، ومثل لهذه التجارب في صورة الحبة التي تموت وتدفن في رحم (الأرض الأم)، ثم تنبت ثانية في محصول العام التالي أو في جيل التالي من الاسرة البشرية. (١)

وطبقت هذه الصورة في عبادة الام أو الزوج المكلومة وابنها أو زوجها المعذب الذي لاقى ميتتة قاسية. (٢)

المطلب الثالث: صراع الإنسان والبيئة

وبينما يبلغ تأكيد توينبي على مسالة التحدي والاستجابة حدا يصل به إلى التزام موقف الصراع والتناقض بين الإنسان والبيئة، نجد القرآن الكريم رغم اهتمامه بقضية الصراع والتناقض كمحرك للنشاط الحضاري، وأفراده المساحات الواسعة لها، فأنه يقف هذه المرة موقفا مختلفا عن الموقف الغربي عموما والذي ينعكس هناك حتى على المستوى اليومي والصحفي، فتأتي محاولات استيطان الفضاء وكشف إسراره وهو ما يفسره بعض المفكرين بأنه تكملة للصراع القديم الذي مرت به شعوب أوربا عبر العصور.(٣)

ان القرآن هنا يرسم خطاً جديداً في تصويره للعلاقة بين الإنسان والعالم...خطاً يقوم على الانسجام والتكامل والالتحام بين الروح والمادة، بين العقل والقلب ،بين الأرض والسماء، بين الجبرية والقدرية، بين العقل والتأمل، بين الغريزة والوجدان، بين الحضور والغياب وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة....فما دام الإنسان مزيجا معقدا فذا بين الروح والجسد فأن تلاؤم وتوافق هذين الجانبين، وما يتفرع عنهما من قوى وطاقات، هو الوضع الطبيعي الذي يمكن الإنسان من بذل الحد الأقصى لطاقاته وقدراته، وبالتالي تسير العجلة الحضارية بسرعة اكبر ...وان الصراع بين هاذين الجانبين أمر شاذ يؤول إلى تفكيك وحدة الذات البشرية وتمزيقها، الأمر الذي ينعكس بالضرورة على الفاعلية الجماعية فيصل بينها بأكثر من خلل يعرقل مسيرتها الحضارية(٤).

هذا من جانب، ومن جانب أخر فانه مادامت قوى الطبيعة وطاقاتها قد سخرت أساسا لخدمة الإنسان، ومساعدته على الرقي الحضاري وأعمار العالم، فأن العلاقة بينهما لن تكون بالضرورة علاقة قتال وصراع.... إنما علاقة انسجام وتعاون وكشف وتنقيب، ويمكن وصفها بعلاقة الخادم المطيع بالسيد

---

(١) ينظر: أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهيلينية، ص ٣٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) د. منى محمد بهي الدين الشافعي، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم ، مصدر سبق ذكره، ص٥٠٥ ؛ كذلك انظر: د. محمد عمارة، سقوط الغدر العلماني، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٣.

(٤) د.عماد الدين خليل : (ملاحظة في التقليد الحضاري مجلة الوعي الإسلامي السنة ٨ عدد٩٥)، ص٣٣؛ والشيخ محمد احمد عرفة، نقض مطاعن في القرآن، مطبعة المناصر، مصر، ط١، ١٣٥١هـ، ص٧٦.

القدير...انه في هذه الحالة لا يعادي خادمه أو يرفع السلاح بوجه.... إنما (يستخدمه) بذكاء من اجل تحقيق وإجابته، في أجواء تسودها علائق الطاعة والمحبة والإبداع[١].

ويعرض توينبي نظريته في (التحدي والاستجابة) وأثرها في نشوء الحضارات نمواً وتدهوراً ، فحيث ما كان التحدي البيئي او البشري مناسب في حجمه لمقدرة الجماعة البشرية وحيثما ما كانت الجماعة في وضع تاريخي يمكنها من الرد على التحدي ، وحينما كان للحاضرة ان تتقدم وللحركة ان تواصل مساعيها لإيصال المعطيات الحض؟.ارية وبالعكس تؤول الحركة إلى التعثر والحضارة إلى الانتكاس حيثما جاء (التحدي)، او عجزت الجماعة عن الاستجابة له والرد علية بقدر كافي من القوة والمنعة[٢].

يتبين لنا ان هيكل يحدد الصراع على نطاق الأفكار ويرجعه إلى مشيئة العقل الكلي الذي يعمل من خلال العالم نفسه، لا من موقع (فوقي) كما قد يتوهم البعض فيقربه _خطأ_ من التصور الديني، وهو بهذا يسلب الإنسان والجماعة البشرية من حريتها، ودورها الإرادي في حركة التاريخ. وهكذا يفعلون الماديون الشيء نفسه، ولكن على مستوى المادة التي يجد الإنسان والجماعة البشرية أنفسهم غير قادرين حيالها على تغير منطقها الجدلي التام الذي يمضي إلى غايته دونما أي اختيار أو تدخل بشري في طبيعة علاقاته الديالكيتيكية....اما توينبي يدنو بنا خطوات كبيرة تجاه الرؤية الصحيحة والنظرة الأكثر انفتاحاً عندما يضع على ساحة الصراع والحركة طرفي المسألة (البيئة) و(الإنسان والجماعة) ، ويعطي للجانب الأخر اختياره وحريته في تقرير المصير.[٣]

المطلب الرابع: تحليلاته واستدراكاته على الديانة اليهودية وكيفية اتباعها الفكر اليهلينية

يقف قراء الدراسات الاسلامية حيارى في تحليله من ان نحلة توينبي كونه لا يستثنى ديانة سماوية الا وقد انتقدها انتقادا لاذعا وجعلها متقمصه لافكار ومعتقدات وضعية ونسبها زورا وبهتانا معتمدا بذلك الى ترجيح قدم الحظرات الهيلنيه دون تثبت لاننا اذا رجعنا تاريخيا سوف نجد ان حظارة الشرق الاقصى ووادي النيل اقدم مما ذكر، وهو بذلك يعرج على وجود الهيلنيه وعظمها وفلسفائها الفكريه والعقدية وهو اذا يذكر ذلك فليس امامنا خيارا الا ان يحلل نصوص كتابه ونقف على ما ذكر من تعليلات تدلل على ما وجد من اثار في الديانه اليهوديه او معتقدات او طقوس تتنولها اليهوديه وهل ذلك الذي يذكر توينبي هو الصواب ام هرطقات لفيلسوف حملته اوهم وخيلاته واتجاهات تاثر بها خلال تعليمه في الجامعات او غيرها من خلال استطراداته التي سطرها في مولفه المدن والزيرات الكثيره جدا[٤].

(١) ينظر: أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهيلينية، ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٧.

(٣) د.عماد الدين خليل : ملاحظة في التقليد الحضاري، ص٣٤

(٤) ينظر الحضارة الهيلنية –ص٢٩

اقوال في الفكر والمعتقدات اليهودية

بعد ان مهد ارنولد توينبي للحضاره الهيلنية ورسم خارطة انتقال افكارها، أو ندرس بعضها او نصهار بعضها في القوميات وفي الامم الاخرى تتناول اقوال فلاسفه الهيلنية حيث ذكر في معرض حديث وقال ((لقد عبر الفيلسوف الهيلني برؤتا جولاس الابديري في القرن الخامس ق.م عن هذه النظرة في مقوله المشهورة ((ان الانسان هو مقياس كل شيء)) عندما نتحدث باللغة التقليد اليهودية والمسيحية والاسلام يمكننا القول بان الهيلنين رأوا في الانسان ((سيد الخلق)) وعبدوه كإله بدلا من الله – عز وجل–، وقد يكون المؤلف محق فيرى في بعض العبارات حول الديانتين اليهودية والمسيحية اذا انهما ألهتا كشخوص من الانبياء والصالحين من بني إسرائيل كعزيراً وعيسى ابن مريم – عليهما السلام– بهتاناً وضلماً[١].

غير انه غير محق في نسبة القول وشموليته في العبارات التي اعتنقها المسلمون ولم يعبرون او يشيرون الى تقديمهم لشخص مبينين بدلا عن عبادة الله تعالى[٢]، عبر التاريخ لما قال وعبادة الانسان او مذهب الايمان بالانسان ليست جزيا من عبادة الاوثان يقتصر على الهيلنين وحدهم فهناك ما يوحي بانها كانت العقيدة المميزة للانسان في طور تحضره في كل زمان ومكان[٣]

وقوله صلى الله عليه وسلم وفي تفسير قوله تعالى (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)، قال عبدت اليهود عزيزا وعبدت النصارى المسيح وعبد غيرهم آلالهات مزعومة من صنع ايديهم –ينظر كتب الكلام في ذلك .

المطلب الخامس: تعليلاته الكلامية ونقده للمعتقدات اليهودية

ويتابع توينبي السير في ذكر التشبيهات التي قرنها ما بين العقيدة في الحضارة الهيلنية وما بين الديانات الاخرى ((فالاله الهيلينية قريبة الصلة بالانسان لانها خُلِقَت بيد الانسان على صورة الانسان، اما إله اسرائيل فكان قريب الصله بالانسان لأَنهُ خَلَقَ الانسان على صورته هو)) [٤].

ويستشهد بعقيدة الديانة المسيحية على الديانه اليهودية حيث قال: ((كانت الديانة المسيحية التي استأثرت في النهاية تصف العالم الهيليني له صورة معدلة للديانه اليهودية))[٥].

وقد سم هذا التغير عن طريق تطعيم الديانة اليهودية بفكر هيلنية تعد في نظر اليهود على النقيض تماما من كل ما تمثله الديانة اليهودية وكذلك يدافع عن فكرة تجسيد اله في فكر اليهودي ذكرها بقوله: ((تقول العقيدة المسيحية ان إله اسرائيل الذي خلق الانسان على صورته قد هيئا الف وسيله للخلاص خلائقه

(١) ينظر الحضاره الهيلنيه ص ١١ –١٧ و ما بعدها.

(٢) ينظر الايات التي ذكرت عبادة غير الله وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ).

(٣) ينظر سلسله حياته العلميه في ثنيا البحث

(٤) الحضاره الهيلنيه ص ٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٩.

البشرية بان تجسد بذاته في صورة انسان ، وكان هذا المبدء المسيحي الثوري الذي يقول بتجسيد الله في نظر الاخطاء التي وقفت فيها الديانة الوثنية الهيلنية [١].

لقد حاول الدفاع عن اليهودية ونسب الفكرة العقدية الى المسيحية والديانات السامية[٢] ولم يخص الشركية القديمة منها بل خص الاسلام وحده دون غيره .

الخاتمة

الحمد لله تعالى على توفيقه وعنايته وقد توصلت في نهاية البحث إلى عدة نتائج:

١) يمثل المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، من أسرة تعد من صفوة الطبقة الوسطى المعروفة بمكانتها الثقافية في المجتمع البريطاني.

٢) نشأ توينبي على درجة من التعليم والثقافة، والأهتمام بالشون الأجتماعية، فمنذ صغره درس التاريخ، واهتمت امه بتعليمه تاريخ الشعوب.

٣) تعلم توينبي اللغة اليونانية واللاتينية، لكنه لم يتعلم اللغة العربية.

٤) تقلد مناصب عدة، واشرف على عدد من الرسائل العلمية، وألف الكثير من كتب التاريخ، اشهرها كتاب مختصر دراسة للتاريخ، تحمل في داخلها فكره وفلسفته.

٥) ان المؤلف قد بالغ في وصفه لتطور المعتقدات والأديان عند الهيلينيين ثم لدى اليونان وبعدها كيفية تجسيد عقيدة حب الأرض وانتما الإنسان اليها عند السامين.

٦) هناك مغالطات في فلسفة توينبي، فبالنسبة لموضوع الحضارات فإن هناك مجموعتين من الحضارات أصلية ليس لها جذر او علاقة بمجتمع قديم، وفرعية متصلة عن حضارة قديمة، فمرة يصف الإسلام بأنه مجتمع أصيل، ومرة أخرى يصفه بانه مجتمع يستمد جذوره مع الفارسين من المجتمع القديم السامين.

٧) ويعرض توينبي نظريته في (التحدي والاستجابة) وأثرها في نشوء الحضارات نمواً وتدهوراً.

٨) وقد سعى توينبي إلى توظيف قيم ومبادئ هذه الديانات بما يخدم قيم ومبادئ الحضارة الغربية ويتعامل معها على اساس مدى انسجامها ومواءمتها مع قيم ومبادئ الحضارة الغربية.

٩) إدعى وافترى للتأصيل لنظريته المزعومة، (نظرية تطور عقائد الأديان بعضها عن بعض.

التوصيات:

لا بد لكل باحث أو مجتهد في أي بحث أن يترك توصيات لعل الذي يدرس بعده يحقق ما أوصى بها سلفه.

---

(١) ينظر الحضاره الهيلنيه ص٢٩-٤٠.

(٢) الديانات السامية :- هي الديانات الشركيه والوثنيه القديمة التي كانت في الشرق الادنى مثل الديانات البابليه وايضا الموجودة في البلاد الأخرى كالشام وفلسطين وعلى سواحل بحر إيجة ، واوهم المولف تلك المعتقدات الشركيه والوثنية ونسبها زورا وبهتانا الى الاسلام .

١) على مفكري ومتكلمي المسلمين أن لا يثقوا بغالب ما قامت به الدراسات الاستشراقية للتراث الإسلامي.

٢) العمل على تأسيس منتدى المعرفة الإسلامي، وأن يكون إحدى أساسياته توعية الجيل إلى مخاطر الفكر الإستشراقي، وإعادة وتمحيص السقيم من الصحيح، للكثير من ما نسب إلى الدين الحنيف بهتاناً وزوراً.

المصادر والمراجع

١) أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الأغريق، ترجمة: لمعي المطبعي، مراجعة: محمود صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٠م.

٢) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل، مراجعة: محمد شفيق غربال، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥م.

٣) صالح أحمد العلي، توينبي والحضارة لعربية في ماضيها ومستقبلها، بحث منشور في مجلة آفاق عربية، بغداد، مجلد ١، عدد ٧، آذار، ١٩٧٦م.

٤) صدقي عبد الله خطاب، أرنولد توينبي، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ٥، ١٩٧٤م.

٥) طه باقر، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق للنشر والتوزيع، العراق، ١٩٥٥م.

٦) علاء الدين الأعرجي، أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المنفعل، مطبوعات لندن، ط٥، ٢٠١٥م.

٧) عماد الدين خليل: ملاحظة في التقليد الحضاري مجلة الوعي الإسلامي السنة ٨ عدد (٩٥).

٨) فؤاد محمد شبل، توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث، القاهرة، ١٩٧٥م.

٩) لمعي المطيعي، أرنولد توينبي – عرض ودراسة–، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

١٠) محمد احمد عرفة، نقض مطاعن في القران مطبعة المناصر، مصر، ط١، ١٣٥١هـ.

١١) محمد عمارة، سقوط الغدر العلماني، دار الشروق، القاهرة ط١ ١٩٩٥م.

١٢) منى محمد بهي الدين الشافعي، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القران الكريم، دار اليسر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٨م.

١٣) نيفين جمعة علم الدين، فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الأغريق، ترجمة: لمعي المطبعي، القاهرة، ١٩٩١م.

١٤) موقع ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org

sources and references

1. Arnold Toynbee, Historical Thought of the Greeks, translated by: Lamei Al-Mutabai, revised by: Mahmoud Saqr Khafaga, The Egyptian General Book Organization, Cairo, Egypt, 1st edition, 1990 AD.
2. Arnold Toynbee, Brief Study of History, Translated by: Fouad Muhammad Shebl, Reviewed by: Muhammad Shafiq Ghorbal, Cairo, 2nd edition, 1965 AD.
3. Salih Ahmed Al-Ali, Toynbee and the Civilization of Arabia in Its Past and Future, research published in Arab Horizons Magazine, Baghdad, Volume 1, Issue 7, March, 1976 AD.
4. Sidqi Abdullah Khattab, Arnold Toynbee, World of Thought Magazine, Kuwait, Volume 5, 1974 AD.
5. Taha Baqer, An Introduction to the History of Ancient Civilizations, Dar Al-Warraq for Publishing and Distribution, Iraq, 1955 AD.
6. Aladdin Al-Araji, The Crisis of Civilization Development in the Arab World Between the Active Mind and the Passive Mind, London Publications, 5th Edition, 2015 AD.
7. Emad El-Din Khalil: Note on the Civilizational Tradition, Journal of Islamic Awareness, Sunnah 8, Issue (95.(

8. Fouad Muhammad Shebl, Toynbee, the innovator of the modern historical approach, Cairo, 1975 AD.
9. Lamei Al-Mutaie, Arnold Toynbee - presentation and study - Dar Al-Kitab Al-Arabi, Cairo, 1967 AD.
10. Muhammed Ahmed Arafa, Naqd Al-Quran, Al-Manasir Press, Egypt, 1st edition, 1351 AH.
11. Muhammad Emara, The Fall of Secular Treachery, Dar Al-Shorouk, Cairo, 1st edition, 1995 AD.
12. Mona Muhammad Bahi al-Din al-Shafi'i, The Modern Secular Current and Its Position on the Interpretation of the Holy Qur'an, Dar Al-Yusr for Printing and Publishing, Cairo, Egypt, 1st edition, 2008 AD.
13. Nevin Gomaa Alamuddin, The Philosophy of History of Arnold Toynbee, Arnold Toynbee, Historical Thought of the Greeks, translated by: Lamei Al-Mutabai, Cairo, 1991 AD.